الأصالة

مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية

يوغورطة

التعريبُ واقعُه ومُستقبلُه
في المغرب العربي

عبدالكريم غلاب
رئيس اتحاد كتاب المغرب
مدير جريدة العلم المغربية

حينما استقلت بلاد المغرب العربي وجدت نفسها تحت عبء ضخم تخلفه عن سيرة الاستعمار الفرنسي في هذه الاقطار ، سواء في الميدان السياسي او الاقتصادي او الاجتماعي او الثقافي.

وليس من مهمة هذا الحديث ان يتناول الارث الثقيل في مختلف الميادين ، فذلك موضوع بناء استقلالنا على انقاض هذا الارث الفضخم . ولكننا نقتصر فقط على مشكلة اساسية تتصل بمقوماتنا الوطنية والقومية والفكرية . وهي مشكلة اللغة . فقد جاء الاستعمار بعقلية جديدة غريبة هي تغيير معالم اقطار المغرب لتكون نموذجا ممسوخا لمعالم البلد المستعمر او الدولة الام كما كانت تسمى .

كان ذلك هو منطلقهم فى العمل الاقتصادى بالقطر المغرب ، ليكون هذا الاقتصاد مكملا للاقتصاد الفرنسى دون اعتبار لما يجب ان تدره تنمية هذا الاقتصاد على الانسان المغربى . ولذلك كان الاقتصاد لا يستهدف تنمية ما بين المغاربة من موارد اقتصادية لصالحهم وصالح الجالية الاجنبية التى « تتعايش » معهم ، ولكنه كان يستهدف سرقة مواد الاقتصاد من أرض فلاحية وموارد معدنية وثروة سمكية وصناعات مختلفة — الا بعض الصناعات التقليدية التى لا تدر مالا — ولتمليك كل ذلك للاجانب حتى يصبح المواطن المغربى فى الاقطار الثلاثة مرغما على ان يظل ، لان سياسة التفقير وسيلة للارغام وسبيل للطاعة .

وكان ذلك أيضا منطلقهم فى العمل الفكرى . والتعليم واللغة أول مراحل هذا العمل .

سياسة التعليم فى الاقطار الثلاثة قامت على اساس الفرنسة . ولا نحتاج ان نتحدث عن قيمة التعليم ومستواه فى العمق أو فى الانتشار ولكنا فقط نشير الى ان التعليم الذى « منح » لبعض المواطنين فى المغرب العربى كان فرنسى اللغة ، بالاضافة الى انه فرنسى التوجيه والمحتوى

والهدف منه — كما لا نحتاج ان نقول — ليس اخراج مثقفين أو اطر كبرى للدولة ، فذلك من اختصاص الجالية الفرنسية التى كانت تتمتع بتعليم فرنسى متقول بمدرسته ، وأساتذته وبرامجه وتوجيهه الى الجزائر او تونس او المغرب، وانما كان الهدف منه اخراج مساعدين للادارة الفرنسية يترجمون لمدير الادارة — ولتكن أبسط ادارة أو أصغرها — وليحاكم — وليكون حاكم قرية مثلا — ما يقوله هؤلاء الاهالى « ليزانديجين» من كلام يعسر فهمه على المدير أو الحاكم ، أو ينقلون أوامر المدير والحاكم لهؤلاء « الانديجين » الذين لا يفهمون ما يقول المدير أو الحاكم ....

من هنا كانت المدرسة — على علاتها — فرنسية اللغة والتوجيه والفكر . وبما ان الادارة كانت تحت السلطة الفرنسية ، فقد كانت هى الاخرى فرنسية اللغة والتوجيه ، وبما ان المسيطرين على الحياة الاقتصادية والاجتماعية كانوا هم الفرنسيين الذين لم يتأقلموا وبالتالى لم يتعلموا لغة البلاد ولم يستعملوها ، لان هدفهم نقل هذه البلاد الى بلادهم لا نقل الانسان الفرنسى الى بلاد المغرب العربى ، فقد كانت الحياة العامة هى الاخرى فرنسية اللغة فى المعمل والمتجر والحقل والشارع .

وهكذا وجدنا بلادنا بعد الاستقلال مفرنسة فى كل قطاعات الحياة المتحركة : اللغة والفكر والادارة والحياة العامة .

حقيقة ان معظم أبناء الشعب كانوا يتكلمون العربية أو البربرية فى المنزل والشارع ، واحيانا عربية أو بربرية ممزوجة بكلمات فرنسية — تكثر نسبتها سنة بعد سنة — وهذه اللغة المتحدث بها احتفظت لنا بمظهرنا اللغوى نسبيا . ثم ان الاسلام والقرآن احتفظ لنا بكياننا العربى وبأصالتنا اللغوية . ولكن القرآن ظل منزويا فى

المساجد وعند القلة الذين يتلونه تبركا أو تفهما. ولغة المنزل والشارع ليست اللغة الحية المتطورة التي تساير الحضارة الفكرية والعملية الانسانية. ولذلك ظلت شعبية معزولة لا تكاد تعبر الا عن ابسط العمليات الذهنية والرغبات البدائية .

ومعنى هذا ان لغة الحياة والفكر والادارة ـ وهي لغة المركة العملية للانسان المتطور ـ أصبحت هي الفرنسية . ولقد حاولت عدة اللغة ان تقضي حتى على ما تبقى من لغة الحديث البسيطة ، او لغة القرآن المنزوية ، او لغة التعليم الاسلامي وخاصة في القرويين والزيتونة والمدارس الاسلامية بالجزائر ، ولكنها من حسن الحظ لم تستطع ان تنفذ الى أعماقها . والفضل في ذلك يرجع الى الاسلام والقرآن أولا ، ثم الى التمسك القوي بقوميتنا . فقد ظل المستعمرون أجانب رغم قرن وثلث قرن من الاستعمار في الجزائر ، وثلاثة ارباع القرن في تونس وثلاثة واربعين سنة في المغرب . ثم يرجع الفضل ايضا الى الموجة الاستعمارية التي كانت تدفع بالمستعمرين الى نوع من التعالي على المواطنين في الاقطار المغربية. وعدم سياسة دفعت بالمواطنين الى التشبث بالعزلة عن الفرنسيين . ولذلك فقد كان استعمار فرنسا استيطانيا ، ولكنه لم يكن استعمارا اندماجيا . وهذا من مصلحة احتفاظ شعوب المغرب العربي بمقوماتها الذاتية ، ومنها اللغة العربية في مظهرها البسيط كلغة حديث ، وفي مظهرها العميق المتزوي كلغة القرآن والاسلام .

المشكلة التي وجدناها اذن بعد الاستقلال تتلخص في النقط الآتية :

ـ اللغة الفرنسية هي لغة التعليم .

ـ هي لغة الادارة والحياة العامة .

ـ اللغة العربية ـ على ضعفها وانزوائها واختلاطها ـ لغة الحديث تشاركها في ذلك البربرية .

ـ هي لغة القرآن والتعليم الاصيل الذي يتضاءل في وجوده من جهة . وليست له صلة بالحياة العملية الادارية والاقتصادية من جهة أخرى .

هذه التشخيصات اعطت لبلاد المغرب العربي الصورة الآتية :

بلاد مستقلة سياسيا تستعمل في تعليمها وادارتها لغة اجنبية وتتبع الفكر الاجنبي وترتبط من اجل ذلك بالاقتصاد الاجنبي . وتكاد تقتصر ارتباطاتها الثقافية والاقتصادية على بلاد أجنبية بعينها يوحي ـ اللغة المشتركة او بأمر منها . وهو التعبير الصحيح .

وهذا ما دفع بالكثيرين ان يصفونا في البلاد ، الفرنكوفونية ، ودفع بالبعض منا الى المشاركة باسمنا في جمعيات الجامعات والمؤسسات التي تكونها البلاد المتحدثة بالفرنسية (كلا او بعضا) وكاد هذا التصنيف يجعلنا من البلاد التي ليست لها لغة قومية . واصبح من حق الذين لا يعرفون تاريخنا وحقيقة شعبنا ان يحسبونا من البلاد الافريقية التي لا يمكنها حضاريا وثقافيا الا ان

تلجأ الى لغة حديثة معروفة بانها لغة علم وحضارة هي الفرنسية لتكون لغتها .

هذا مظهر من مظاهر الاخطار الناتجة عن الوضعية اللغوية التي ورثناها عن الاستعمار . وهو مظهر خطير لانه يسلبنا من احد مقومات كياننا القومي وهو اللغة .

وباقي الاخطار نتصورها كما يلي :

ب ـ استمرار الشعور بالنقص او التشكيك في القومية المغربية واللغة احدى مقوماتها .

ت ـ الارتباط المستمر باللغة التي نستطيع التفكير بها . ومتى ارتبطت باللغة التي نفكر بها ارتبطت بالفكر والاقتصاد والمجتمع الذي ينبع من هذه اللغة . واذن فسنظل مستعمرين ولو كنا مستقلين .

ج ـ استعمال هذه اللغة كلغة تلقين في التعليم يفرض عدة صعوبات لعرقل تطور التعليم وتعرقل نمو تعليم الطفل وفي مقدمتها :

أ ـ تعليم الطفل لغتين في وقت واحد يحد من قوة ادراكه ويجعله يعاني مشكلة ازدواج الادراك والفهم . وخطر ذلك تربويا واضح جدا . وخاصة بتعليم لغتين يختلف قواعد ومنطق احداهما عن الاخرى . وبذلك يخرج الطفل ضعيفا في اللغتين معا .

ب ـ استعمال الفرنسية كلغة تلقين للمواد العلمية والرياضية والاجتماعية كما كان الامر منذ الاستقلال في اقطارنا الثلاثة (وقد بدأ الوضع يتغير الآن بتعريب التاريخ والجغرافية في المغرب والجزائر) يدفع بالطفل الى الاحساس بان هذه اللغة احسن من لغته وأجدر منها بالاستعمال في العلم . والا لما اختيرت لتكون لغة تلقين . ومن هنا يبدأ الشعور بالنقص ـ ان لم نقل بالاحتقار ـ ازاء اللغة الوطنية .

ج ـ مما لا شك فيه ان اللغة الفرنسية مدروسة اكثر وكتبها منظمة ولها صلة بالحياة . وعلى الاخص في الكتب التي تستعمل في المدارس فهي اذن الاقوى . وحينما يجد الطفل نفسه بين لغتين احداهما تمكنه من الفهم والتفكير اكثر من غيرها يميل اليها يوعي منه أو بغير وعي لتصله بالحياة الاجنبية فكريا واقتصاديا على حساب لغته ومصلحة بلاده . كل ذلك نتيجة لسياق لغتين ليست لهما نفس الخطوط ونفس الامتيازات

د ـ الازدواجية تفرض ميزانية مضاعفة تقريبا للتعليم . فوزارة التربية مضطرة ان تنفق على تعليم اللغة الاجنبية منذ المرحلة الاولى للابتدائي . ثم هي مضطرة الى توظيف مدرسين واساتذة اجانب لا لتعليم اللغة الفرنسية فحسب. ولكن لتعليم العلوم الملقنة بالفرنسية . وبقطع النظر عن ان فرنسا لم يعد في استطاعتها ان تلبي حاجاتنا الى هؤلاء الاساتذة . وبقطع النظر عن المستوى المتحدر الذي اصبح عليه الاساتذة الذين يرسلون الى عندما الاقطار في نطاق المساعدة التقنية فمعظمهم من المجندين الذين ليس لهم مستوى بيداغوجي تربوي . وانما يرسلون الينا ليؤدوا واجب الخدمة العسكرية في عمل مدني هو تعليم ابناء افريقيا والمغرب العربي .

بالاضافة الى ذلك فهم يحصلون على مرتبات عالية تمثل على الاقل ثلاثة أضعاف مرتب الاستاذ المواطن ، ونظرا لهذه المرتبات التي لا تحتملها ميزانية التعليم في بلاد ثانية كالمغرب أو الجزائر او تونس فان تكاليف التعليم تصبح مضاعفة مما يعود بالضرر على تعميم التعليم ورفع مستواه .

وفي هذا الاطار يمكن ان ننقل شهادة من بعثة البنك الدولي التي زارت المغرب في سنة 1966 لدراسة مشاكله الاقتصادية وقد جاء في تقرير هذه البعثة (وهو رأي صادر عن تفكير اقتصادي وليس عن تفكير قومي أو وطني حتى يتهم بالتطرف) : « تعتبر بعثة البنك الدولي ان المغرب لا يمكنه ان يستمر في تعليمه لفئتين لا في ذلك من اسراف . ولهذا فان البعثة توصي بان يختار المغرب اللغة العربية ويقوم في المدة التي تنتهي في سنة 1970 بالمهام الآتية :

1 ـ اتخاذ التدابير الضرورية لجعل اللغة العربية صالحة لتلبية حاجيات العصر .

2 ـ جعل اللغة العربية لغة الادارة .

3 ـ جعل اللغة العربية لغة التعليم .

أما فيما يخص التعريب فيجب حالا تعريب التعليم الابتدائي جميعه . ويجب تعريب التعليم الثانوي ابتداء من السنة الدراسية 1970 ـ 1971 ويجب كذلك تلقين لغة ثانية (الفرنسية او الاسبانية او الانجليزية) ابتداء من السنة الاولى من الثانوي » .

كل ذلك يؤكد ان بقاء اللغة الاجنبية كلغة تلقين يعتبر مساسا بقوميتنا من جهة ، واعطاء الفرصة لهذه اللغة كي تبقى متغلبة على لغتنا القومية من جهة أخرى ، واسرافا في ميزانية التعليم على حساب التعميم ورفع المستوى من جهة ثالثة .

هـ ـ من المعروف ان جزءا مهما من المواطنين في المغرب والجزائر على الاخص يتحدثون البربرية أو لهجة من لهجاتها المتعددة في البيت وربما في الشارع أيضا . فاذا كانت لغة الحديث عندهم هي البربرية ـ وهو لا يتعلمها في المدرسة كلغة علم وثقافة ـ ولغة العلم والكتابة والادارة هي الفرنسية ، فقد تحقق ما كان يقصده الاستعمار الفرنسي من السياسة البربرية التي حاول ان يطبقها في الجزائر والمغرب ، واقصيت عناصر الشعب فكريا ولغويا بعضها عن بعض.واصبحت اللغة المشتركة للتفاهم هي الفرنسية التي هي لغة اجنبية عن بلادنا تماما . كما هي لغة تفاهم بين الشعوب المختلفة في المؤتمرات والمنظمات الدولية .

و ـ استرد المواطنون في المغرب العربي اعتبارهم ، ولم تعد صلتهم بالادارة مقتصرة على تلقي التعليمات والاوامر ، ولكن الادارة اصبحت ـ او هكذا يجب ان تكون ـ في خدمتهم وتصفية المشاكل التي تعترض طريقهم أثناء عملهم الحياتي اليومي سواء كان عملهم يتصل بالفلاحة أو التجارة أو الصناعة أو السياسة أو البناء والتعمير أو بالتحصيل أو الاداء في البريد والصارف الخ دخل المواطنين الحياة العملية من اوسع ابوابها نتيجة لاعلان الاستقلال . فكان ذلك الفلايا في

حياة الانسان المغربي كان من الطبيعي ان يمنح الادارة الضرورية للتصرف وفق هذا الانقلاب . أعني ان تتحول الادارة لصالحه ، وان تكون في خدمته على قدر ما يستطيع ان يستفيد من هذه الخدمة ، فتتخلى عن تعقيداتها ومكتبيتها (بيروقراطية) وسيرها التقليدي البطيء المطرد (الروتينية) . وفي مقدمة ما كان ينبغي ان تتخلى عنه : اللغة الاجنبية التي كانت دائما حاجزا بين المواطن العادي والاستفادة من الادارة التي كان يشرف عليها الاجانب ، فاصبح يشرف عليها في الغالب مواطنون ولكن بلغة اجنبية .

الادارة في بلاد المغرب العربي كانت امام ضرورتين لا محيد عنهما اذا أرادت ان تكون في مستوى الاستقلال الذي حققه الشعب بنضاله :

اولهما : تطهير الادارة بالمواطنين .

ثانيتهما : تعريب الادارة .

بهذين العملين يمكن القضاء على العزلة المتبادلة بين الادارة والمواطن .

نعود فنقول اننا وجدنا انفسنا في بلاد المغرب العربي أمام مشكلتين :

- تعريب التعليم .
- تعريب الادارة والحياة العامة .

ومن الانصاف للتاريخ ان نقول : ان الشعب ممثلا في منظماته الوطنية أخذ يشعر منذ اليوم الاول للاستقلال بضرورة تعريب هذين القطاعين . ويمكننا ان نتحدث عن العمل الشعبي فيما يخص تجربة المغرب الاقصى لانني كنت وما ازال على صلة بهذا العمل معتذرا عن عدم تحليل العمل الشعبي والحكومي الذي قام به القطران الشقيقان لنقص معلوماتي في الموضوع .

كان تطلع الشعب يستهدف تعريب التعليم والادارة . وكانت المنظمات الوطنية تطالب بهذا التعريب في الوقت الذي كانت الحكومة وادارتها تشعر بنوع من العجز عن الاستجابة لهذا المطلب الشعبي .

وسأعود الى هذه النقطة الاخيرة فيما بعد .

فيما يخص الطلب الشعبي تجلى عند المواطنين وفي الصحافة الوطنية التي كانت تلح دائما على تعريب التعليم والادارة باعتبار التعريب قضية وطنية أولى . وقد اسست في المغرب عدة لجان وطنية في اطار وزارة التربية شارك فيها ممثلون عن الاحزاب والنقابات والجمعيات الثقافية والاساتذة والمثقفين عموما . وكان التعريب هو الحل المقترح لحل مشكلة التعليم أو جانب منها على الاصح . فهو سبيل التعميم ومعرفة الأطر ووسيلة المتعلم بحياة بلاده ومجتمعه .

كان هذا هو اتجاه اللجان المختلفة . وهو الاتجاه الذي تبناه المجلس الاعلى للتعليم في الدورات التي اجتمع فيها . ثم كان هو المطلب الاساسي الذي قدم مشروعه فريق التعادلية والمشروعية الى البرلمان الاول سنة 63 ، 64 .

مرحلة أخرى مرت بها مشكلة تعريب التعليم في المغرب الاقصى .

كان ذلك في ربيع سنة 1966 حينما تقدم وزير التربية آنذاك بمشروع مذهب لاصلاح التعليم وأثار هذا المذهب ردود فعل على النطاق الوطني وعارضته المنظمات الوطنية • وبهمنا من هذا المذهب ومعارضته جانب التعريب •

يقول المذهب الذي اعلنه وزير التربية في ندوة صحفية ، فقرة منه تحت عنوان : ضرورة اختيار لغات التعليم : « ان تعريب التعليم يعتبر هدفا من الاهداف الاساسية التي قر العمل على تحقيقها منذ الاستقلال • ولكن اذا كان من اليسير الاتفاق على مبدأ من المبادىء ، فان تطبيقه بدون وسائل امر ليس باليسير ولا بالهين • ان اصلح وسيلة لتعريب التعليم تكمن في تكوين اطر وطنية ذات كفاءة ومقدرة • والواقع انه يستحيل على المغرب الآن وبعد سنين ان يجد ما يحتاج اليه من اطر وطنية يمكنها ان تدرس المواد العلمية بلغة الضاد ولا سيما في التعليم العالي والتعليم الثانوي ، واجهة ما سيلتحق به من تلاميذ تقدر بنحو 1.600 أستاذ جديد في كل سنة • بالاضافة الى نحو 4.600 أستاذ اجنبي الموجودين حاليا في المغرب ••• فالظاهر اذن ان استعمال لغة اجنبية كأداة لتدريس المواد العلمية لازال يعتبر أمرا لا محيد عنه لفترة انتقالية » •

ونظرا للمعارضة القوية التي لقيها مذهب السيد الوزير فقد قام جلالة الملك باستشارة الاحزاب السياسية والهيئات الوطنية من السياسة التي ينبغي اتباعها فكانت أجوبتها متفقة في الجوهر ، ومعظمها قدمت رأيا مجملا • غير ان حزب الاستقلال قدم مذكرتين احداهما في يوليو 1966 وثانيتهما في أغسطس من نفس السنة • وهما دراستان مستفيضتان بالارقام والرأي التوجيهي وتهمنا فيما يخص التعريب المذكرة الاولى وهي تخطيط ثماني لتعريب التعليم في المغرب يعتمد على الاسس الآتية :

– تخطيط محكم في الزمان والمراحل التعليمية والسنوات •

– تكوين المعلمين والاساتذة المغربة الاطر •

– تاليف الكتب المدرسية لتغطية مراحل التعليم المعرب •

– تحديد المصطلحات العلمية والتقنية المعربة•

وتقترح المذكرة تخطيطا زمنيا لتحقيق التعريب في ثمان سنوات تفصلها بالارقام سواء في المرحلة الابتدائية أو الثانوية ، بحيث يتم تعريب المرحلة الابتدائية في اربع سنوات تنتهي سنة 1970 • ويتم تعريب المرحلة الثانوية سنة 1973 ويشمل التعريب المواد الادبية والعلمية • ويقوم البرنامج المقترح على اساس امكانات الدولة وفي نطاق الميزانية المخصصة للتعليم •

ظلت المشكلة قائمة دون ان تجد لها حلا • وظل التعليم والادارة فرنسيي اللغة رغم المحاولات التي بذلت هنا وهناك • ولكن الشعب ظل يطالب بتعريب القطاعين معا ، وهو يعرف ان تعريب التعليم لا يكون مجديا دون تعريب الادارة ، وبالتالي لن يكون تعريب الادارة ناجحا دون تعريب التعليم •

أيهما يجب ان يكون مقدما على الآخر ؟

من الواضح ان التعليم الذى يكون الاطـــر الادارية يجب ان يكون معربا حتى تستطيع هذه الاطر ان تستعمل العربية فى عملها الادارى . ولكن اقرار تعريب الادارة وفق تخطيط زمنى وفى قطاعات متعاقبة يمكن ان يكون ضغطا على تعريب التعليم .

المشكلة من حيث المبدأ مفروغ منها ، أو كان يجب ان تكون كذلك . فقد وجد فى المغرب ، وربما فى الجزائر وتونس ، من يعتقد ان تعريب التعليم أو الادارة فكرة تابعة عن التعصب لا ينظر الى المشكلة من وجهة نظر واقعية . ويعلل هؤلاء وجهة نظرهم بان اللغة ليست الا وسيلة ، وليس من مصلحتنا الآن ان نهتم بالوسائل على حساب الاهداف . الهدف هو التعليم وهو سير الادارة وليكن ذلك باية لغة كانت . خاصة واننا سرنا فى طريقنا خطوات باحدى الوسائل هى الفرنسية فلا معنى لان نعدل عنها لنبدأ من جديد بوسيلة اخرى هى العربية .

وما من شك فى ان هؤلاء تراودهم فكرة تقدم اللغة الفرنسية كلغة علم وحضارة ودبلوماسية ، وتخلف العربية فى كثير من الميادين . ولذلك فهم ينظرون الى الجانب الاسهل فى الموضوع، وهو استعمال اللغة المتطورة ولو على حساب اللغـــة القومية ، بدلا من ان ننهض بلغتنا لتكون وسيلة التعليم والادارة مستعينين باللغات الاجنبيـــة المتطورة عالميا ، وكثير منها يفوق الفرنسية فى الميدان العلمى والفنى .

هؤلاء قلة ما يزالون مستلبين تحت التاثير الاستعمارى من الاحساس باهمية اللغة كاحدى مقومات القومية والوطنيـــة ، واهميتهما فى استرجاع الكيان الوطنى ، بل والاقتصادى . لبلاد ظلت تحت نير الاستعمار فترة قصيرة من الزمان .

بقطع النظر عن هؤلاء المعارضين ، وهم قلة ، كما قلنا ، لا يصمدون لحوار فكرى فى الموضوع ولا يجرأون على الجهر بافكارهم بله الدفاع عنها ، فان هناك مشاكل تقف فى وجه التعريب يوردها المعترضون والباحثون عن الحقيقة بحسن نية ، نلخصها فيما يلى :

١ ـ اللغة العربية غير اهل لان تساير التقدم العلمى والتقنى .

وهذه المقولة التى تغرى الكثيرين من الذيـن يجهلون العربية ولا يعرفون ماضيها ، كما تؤثر على الكثيرين من الذين عاشوا فى مجتمع فكرى بعيد عن اللغة العربية ، لا يعرفون مثلا غـــير الفرنسية ، وقد يحسون بان غيرها من اللغات ـ الانجليزية أو الالمانية أو الروسية ـ غير قادرة على ان تساير التقدم العلمى والتقنى .

وقد تكفل بالرد على هذا الايهام كثير من المختصين فى علم اللغات المقارن ونشرت فى المغرب عـدة ابحاث ومقالات وألقيت عدة محاضرات لرفـــع هذا الايهام من عقول الذين يمكن ان يقرهـــم بمنطقه . ويمكن ان أذكر على سبيل المثال المجهود الذى يبذلها الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله الامين

العام لمكتب تنسيق التعريب التابع للجامعة العربية ، ومقره الرباط سواء بالابحاث التي كتبها عن قابلية اللغة العربية لمسايرة التقدم العلمي والتقني ، أو الابحاث التي كتبها مساعدوه في المكتب ونشرتها مجلة لسان العرب . كما يمكن ان اذكر المقالات والابحاث التي كتبها الاستاذ احمد الاخضر مدير معهد التعريب في جريدة العلم والمحاضرات التي القاها في الموضوع .

ومن كل هذه الابحاث يتضح ان قابلية اللغة العربية لمسايرة التطور العلمي والتقني حقيقة علمية لا يمكن ان يجادل فيها الا من يجادل في القابلية التي اكتسبتها اللغات الاخرى كالروسية والصينية واليابانية مثلا مع ان جميعها كانت لغات متخلفة ـ تقنيا وعلميا ـ في الربع الاول من هذا القرن ، أو في القابلية التي اكتسبتها اللغات الاوربية المتقدمة كالفرنسية والانجليزية والالمانية وتاريخ تطورها معروف ونعيش جزء منه يوميا .

٥ ـ اللغة العربية ناقصة في المصطلحات العلمية والتقنية والادارية .

واذا كان هذا حقا بالنسبة للغة المستعملة في المغرب العربي فانه عار عن الصحة ـ تقريبا ـ في اللغة المستعملة في المشرق العربي . فقد استطاعت المدارس والجامعات في المشرق ان تعرب وتبتكر مصطلحات في العلوم التجريبية بما فيها الطب والهندسة والزراعة والفيزياء والكيمياء، وعلوم الفضاء . وما تزال تسير في هذا الاتجاه ولو انها لا تلاحق التقدم العلمي والتقني الذي يحتاج يوميا الى عشرات ـ ان لم نقل ـ مئات ـ الكلمات الجديدة المبتكرة .

وفي هذا الميدان يستطيع المغرب العربي ان يستفيد من خبرة المشرق ، فهي لغتنا جميعا . كما يستطيع ان يستفيد من الجهود التي يبذلها مكتب تنسيق التعريب ومعهد التعريب . فلم ينشأ الا لملاحقة التطور العلمي والتقني .

ومهما يكن فليس هناك نقص في المصطلحات المدرسية بحيث يعرقل تعريب التعليم الذي كان معربا منذ البداية في معظم البلاد العربية .

٤ ـ نقص الاطر التعليمية المعربة .

وهذه مشكلة حقيقية . ولكن حلها واضح يتلخص في تكوين الاطر وفق برنامج وتخطيط زمني مرحلي . وبما ان التعريب يمكن ان يطبق ابتداء من القاعدة (المرحلة الابتدائية) ومن القمة (المرحلة الجامعية) فان تنفيذه سيكون بحسب امكانات تكوين الاطر . بل يمكن تطبيقه بحسب الاقاليم مثلا . أي اننا نعرب كل اقليم استطعنا تكوين المعلمين والاساتذة الذين تستغرقهم مدارسه .

ومن الواضح ان تكوين الاطر في التعليم لا يختلف عن تكوينهم في اي قطاع متحرك . اقتصادي او صناعي . فلكي نؤسس معملا لا بد من تكوين اطره . وقلة الاطر او انعدامها لم يعرقل الحياة الاقتصادية عند الدول التي تصنع نفسها من ان تسير في طريق التصنيع . والحاجة تخلق الوسيلة كما يقال .

٤ ـ نفس المشكل ـ او المشكلين السابقين ـ يثاران عندما تعرض قضيـة تعريب الادارة ، المصطلحات الادارية ناقصة ، الاطر الادارية غير معربة ، وقد تحدثنا عن معالجة مشكل المصطلحات اما مشكل الاطر الادارية الحالية ـ وبخصها لا يعرف العربية ـ فان حـلا « البعض » لا ينبغي ان يعرقل تطور ادارتنا نحو التعريب ، ثم ان الحكومات تستطيع ان تكون هؤلاء تكوينا سريعا في اللغة العربية المبسطة التي يستطيعون بهـا ان يسيروا عملهم الاداري ، وقد حاولت وزارة الشؤون الادارية بالمغرب سنة ١٩٧٥ القيام بهذا التكوين للموظفين الذين لا يحسنون العربية في مختلف القطاعات ، وأتت المحاولة بعض ثمارها ، ولكن المشروع اكبر بعد التغيير الوزاري آنذاك ، وقامت الجزائر بمشروع علمي آخر هو وقـف ترقيات الموظفين الذين لا يحسنون العربية الا بعد ان يحسنوها .

على ان لغة الادارة لغة بسيطة غير معقدة ويمكن القانها والتمرن عليها عند الاستعمال بسهولة، كما أتقن الموظفون الاداريون اللغة الفرنسيـة بالاستعمال ، فكثير من مصطلحاتها لم يكونوا يعرفونها قبل الممارسة .

فاذا أضيف الى عمالين كهذين قرار حكومي منفذ بتعريب الادارة فسيضطر الموظفون الذين لا يحسنون العربية الى تعلم هذه اللغة والا كانوا معرضين لان يفقدوا وظيفهم .

٥ ـ انخفاض المستوى .

ولعله من الواضح ان مستوى التعليم انخفض نسبيا (هذه تجربة المغرب وربما كانت تجربة كل من الجزائر وتونس أيضا) ، والذين يلاحظون انخفاض مستوى التعليم يخشون ان تزداد نسبة الانخفاض اذا ما عرب ، واسباب انخفاض مستوى التعليم ترجع الى انه لم يعد للنخبة بل اصبح ـ إلى حد ما ـ معمما في المدن الكبرى على الاقل ، في الوقت الذي لم تهتم الحكومات ببناء الاقسـام الكافية لاستيعاب الكثرة التي تكدست في الاقسام كما لم تهتم بتكوين الاساتذة تربويا (بيداغوجيا) تكوينا قويا ، والاساتذة والمعلمون من فرنسا مثلا اصبحوا في مستوى اقل مما كانوا عليه ايام الحماية والاستعمار .

اذن فالتعريب لن يكون سببا في انخفاض المستوى اذا نفذ بشروطه : أي تكوين الاطر علميا وتربويا باللغة العربية ، مع رفع الاسباب التي ادت الى انخفاض مستوى التعليم ولا صلة لها مطلقـا بالتعريب .

معنى هذا ان معركة التعريب مربوحة من الوجهة النظرية ، وكل الاعتراضات التي يثيرها خصوم التعريب بحق او بباطل ، بحسن نية او بسوئها ، انما هي اعتراضات شكلية وصعوبات عاديـة يمكن التغلب عليها عند الممارسة ، واذا كنـا جميعا متفقين على ان التعريب هدف فيجب اليه بالوسيلة للحصول الى الهدف ، مع العلم بـان لكل تجربة مشاكلها وصعوباتها ، ومع العلم ايضا بان صعوبات التعريب اقل مما نتصوره ، والمشاكل التي يثيرها خصوم اللغة العربية فنلقي

صدداها في النفوس هي مشاكل وهمية ستتبدد بمجرد الاقتناع بكل مقومات قوميتنا ، وستنتهي عندما تبدأ في التنفيذ .

والذي اعتقده ان اشتراك المغرب العربي في المشكلة كان يجب ان يبعث على حلها في نطاق المغرب العربي بمؤتمر يعقده رجال التربيـــة والتعليم تحضره زمرة من المثقفين يستهدف البحث في صلاحية اللغة العربية لتكون لغة تلقين وادارة. ثم وضع الاسس والاساليب لتنفيذ المبدأ متى ما اقره المؤتمر حتى تسير كل اقطار المغرب العربي على منهج واحد يستفيد بعضها من تجارب الآخر وفق تخطيط محكم موقوت . ونحن لا ندعو الى مؤتمر من هذه المؤتمرات النظرية التي تنتهي بتوصيات تنشر في الصحف وينساها بعد ذلك حتى الذين وضعوها ، ولكنا ندعو الى مؤتمر عمل يبحث وسائل تنفيذ التعريب في الادارة والتعليم. ونعتقد ان مؤتمرا من هذا المستوى يمكن ان يكون فيه نوع من الالتزام يساعد شعوبنا على الخروج من المأساة الفكرية والعملية والنفسيـــة التي نعانيها : مأساة شعوب تتعلم وتتعامل بغير لغتها.